﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس: 32]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإهلاكُ بدايةُ العقابِ لا الإفلاتِ مِن الحسابِ

لَمّا بَيَّنَتِ الآيةُ السّابقةُ الإهْلاكَ؛ ناسَبَ بيانُ أَنَّهُ لَيْسَ مَنْ أَهْلَكَهُ اللَّهُ تَرَكَهُ، بَلْ بَعْدَهُ جَمْعٌ وحِسابٌ وحَبْسٌ وعِقابٌ، ولَوْ أَنَّ مَنْ أُهْلِكَ تُرِكَ لَكانَ المَوْتُ راحَةً[1]، ولَمّا كان كثيرٌ من أهلِ الجهلِ وذوي الحَمِيَّةِ والأَنَفَةِ لا يُبالونَ بالهَلاكِ في مُتابَعةِ الهَوى اعتمادًا على أنَّ مَوتةً واحدةً في لحظةٍ يسيرةٍ أهونُ من حَملِ النَّفْسِ على ما لا تُريدُ، فيكونُ لَهُم في كلِّ حينٍ مَوتاتٌ، أخبَرَ تعالى أنَّ الأمرَ غَيرُ مُنقَضٍ بالهلاك الدّنيويّ، بل هناكَ مِن الخِزيِ والذُّلِّ والهَوانِ والعُقوبةِ والإيلامِ ما لا يَنقَضي أبدًا فقالَ تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُحْضَرُونَ﴾: (حضر) أصلٌ يدلُّ على إيرادِ الشَّيءِ ووُرودِه ومُشاهدتِه[3]، والحُضورُ نَقيضُ المَغيبِ والغَيْبةِ، وأحضَرَ الشَّيءَ، وأحضَرَه إيّاه[4]، والإحضارُ: جَعْلُ الشَّيءِ حاضرًا، و﴿مُحْضَرُونَ﴾ في الآيةِ بمَعنى الإحضارِ والمُشاهَدةِ لأَجْلِ الحسابِ والجزاءِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وجوبُ الاستعدادِ ليومِ المَعادِ

يُخبِرُ اللّهُ تعالى بأنَّ كُلَّ الأمم الَّتي أُهلِكَت بالعذابِ والَّتي لم تُهلَكْ ستُحضَرُ يومَ القيامةِ عندَ اللّهِ مُجتَمِعينَ للحِسابِ والجَزاءِ[6]،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 271.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 121.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حضر).
(4) ابن سِيدَه، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب: (حضر).
(5) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 366، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 12، و30/ 151.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 431، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 271.

والإحضارُ جزاءٌ وعقابٌ على ما صدَرَ مِن العِبادِ في الدُّنيا، فإنَّهم سيَجتمِعون في صعيدٍ واحدٍ، لينالوا الجزاءَ العادِلَ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ العطفِ بين الجُمل:

مُقتضَى العطفِ جمعُ المعاني وتكميلُ الدّلالاتِ

تَحتَمِلُ جُملةُ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أن تكونَ معطوفةً على جملةِ ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، وهي على ذلك من عَطْفِ الحِكايَةِ عَلَى الحِكايَةِ، كَأَنَّهُ يَقولُ بَيَّنْتُ لَكَ ما ذَكَرْتُ، وأُبَيِّنُ أَنَّ كُلًّا لَدَيْنا مُحْضَرونَ[1]، وصحَّ عطفُ الجُملةِ الخبريَّةِ على الإنشائيّةِ؛ لأنَّ المعطوفَ عليه إنشاءٌ لفظًا خبرٌ في المعنى؛ فالاستفهامُ على معنى التّقريرِ أو الإنكارِ، فيكونُ الكلامُ من عطفِ الخَبَرِ على الخَبَرِ.

وتَحتَمِلُ أن تكونَ جُملةُ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ معطوفةً على جملةِ: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، فهي واقعةٌ موقعَ الاحْتِراسِ مِنْ تَوَهُّمِ المُخاطَبينَ بالقُرْآنِ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ مُؤَيِّدٌ اعْتِقادَهُمُ انْتِفاءَ البَعْثِ[2].

توجيهُ القراءاتِ القرآنيّةِ في الآية:

تنوّعُ الألفاظِ والأداءِ في تقريرِ المعنى الواحدِ

اختلَفَ القُرّاءُ في قراءة ﴿لَّمَّا﴾، فقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ وعاصمٌ وابن جمّاز بتشديدِ الميم، وقرأ الآخَرونَ بالتَّخفيفِ: ﴿لَّمَا﴾، وتَوجيهُ التّشديدِ أن تكونَ (إنْ) نافيةً و﴿لَّمَّا﴾ بمعنى (إلّا) الَّتي لِلاستثناءِ، وتقديرُ الكلامِ: (وإنْ كلٌّ إلّا جميعٌ لدَينا مُحضَرونَ)، والمعنى: (وما كلُّ الخلائقِ إلَّا لَمُجتمعونَ مُحضَرونَ لدَينا)، وتوجيهُ قراءةِ التّخفيفِ أن تكونَ (إنْ) مُخفَّفةً مِن الثّقيلةِ للتّوكيدِ، وتكونَ اللّامُ في ﴿لَّمَا﴾ هي الفارقةَ بينَ (إنْ) المُخفَّفةِ والنّافيةِ، لِتُفيدَ تقريرَ التّوكيدِ، و(ما)

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 271.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 11.

تقويةً للتّوكيدِ، وتقديرُ الكلامِ: (وإنْ كلٌّ لجميعٌ لدَينا مُحضَرون)؛ والمعنى: وإنّه كلُّ الخلائقِ لَمُجتمِعونَ مُحضَرون لدَينا[1]، والقِراءتانِ مُتقارِبتان في تقريرِ المعنى الواحدِ.

نوعُ القصرِ وبلاغتُهُ في ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا﴾:

قلبُ اعتقادِ الكافرينَ في نفيِ البَعثِ يومَ الدّينِ

على قراءةِ التّشديدِ لأداةِ ﴿لَّمَّا﴾ تكونُ الجُملةُ قصرًا، والتّقديرُ: (وَما كلٌّ إلّا جَميعٌ لدَينا مُحضَرونَ)، ونكتةُ مجيءِ الكلامِ على طريقِ القَصْرِ الرّدُّ على الكافرينَ في اعتقادِهم انتفاءَ البعثِ يومَ القيامةِ، وللإيذانِ بأنَّهم مُصِرّونَ على خَطَئِهم في هذا الاعتقادِ، ففيهِ توبيخٌ شديدٌ لهُم، فيكونُ القَصرُ مِن قَصرِ القلبِ، لقَلبِ اعتقادِهم في مَآلِهم.

فائدةُ تتابُعِ التّأكيدِ في الآيةِ:

تتابُعُ التّأكيدِ يُؤذِنُ بأنَّ الخَبرَ إنكاريٌّ

على قراءةِ التّخفيفِ في (لَما) تتابعتْ ثلاثةُ توكيداتٍ، هي (إنْ) المخفَّفةُ مِن الثّقيلةِ، واللّامُ الفارقةُ بينَ (إنْ) المُخفَّفةِ والنّافيةِ في قولِه: (لَما) و(ما) المُقوّيةُ للتّأكيدِ، ليَكونَ الكلامُ على طريقِ الخَبرِ الإنكاريّ، لِأنَّه يتضمّنُ ردًّا على المُنكِرينَ للبعثِ، فناسَبَ تقويةَ الكلامِ بثلاثةِ مُؤكِّداتٍ.

فائدةُ استعمالِ أداةِ العمومِ ﴿كُلٌّ﴾:

الإحضارُ مُحيطٌ بِكلِّ العبادِ فلا ينفَلِتُ مِنهُم أحدٌ

لمّا كانت ﴿كُلٌّ﴾ من ألفاظِ العمومِ الذي يُفيدُ عمومَ الأفرادِ، وكان التّنوينُ عِوضًا عن المُضافِ إليهِ الّذي هو بتقديرِ (كلُّ القُرونِ) بما دلَّ عليهِ السّياقُ؛ أفادَ ﴿كُلٌّ﴾ استيعابَ الأفرادِ، ليُفيدَ أنَّ الإحْضارَ عندَ اللّهِ تعالى مُحيطٌ بِكلِّ العبادِ بِحَيْثُ لا يَنْفَلِتُ فردٌ مِنْهُمْ عن الحُكمِ[2]، فهو حُكمٌ استقصائيٌّ لا يتخلّفُ أحدٌ عن الحضورِ، ففيه إشعارٌ بعجزِ العبادِ مِن النَّجاة.

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 541، والأزهريّ، معاني القراءات: 2/ 304، والنّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 12/ 355، وابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 291.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 271، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 11.

نكتةُ اجتماعِ ألفاظِ العمومِ في سياقٍ واحدٍ:

استغراقُ الأفرادِ في مكانٍ وزمانٍ واحدٍ من أعجبِ ما يدلُّ على القدرةِ الكاملةِ

اجتمعَ لفظُ ﴿جَمِيعٌ﴾ مع لفظِ ﴿كُلٌّ﴾ في سياقٍ واحدٍ، مع اشتراكِهما فيما دلّا عليه من العمومِ، وذلكَ لاختصاصِ ﴿كُلٌّ﴾ بمعنى الإحاطةِ والشُّمولِ، واختصاصِ ﴿جَمِيعٌ﴾ بمعنى الاجتماعِ، ونكتةُ مجيءِ اللَّفظيْنِ في هذا السّياقِ الدّلالةُ على استغراقِ جميعِ أفرادِ الخَلقِ في زمانٍ واحدٍ وصعيدٍ واحدٍ، وهذا أعجبُ ما في الأمرِ، أن يَجتمِعَ الخلقُ جميعًا يومَ القيامةِ مِن قُرونٍ مُتفاوِتةٍ ومُتباعِدةٍ في الزّمانِ والمكانِ والأحوالِ، فَلَيْسَتْ إحْدَى الكَلِمَتَيْنِ بِمُغْنِيَةٍ عَنْ ذِكْرِ الأُخْرَى؛ أَلا تَرَى أَنَّهُ لَوْقيلَ: (وَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَمّا جَميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرونَ)، لَما كانَ تَنافٍ بَيْنَ (أَكْثَرِهِمْ) وبَيْنَ (جَميعِهِمْ)؛ أيْ: أَكْثَرُهُمْ يُحْضَرُ مُجْتَمِعينَ، فهكذا إذا قيل: (كلُّهم مُجتمِعونَ مُحضَرونَ)[1].

نكتةُ استعمالِ لفظِ ﴿لَّدَيْنَا﴾:

الإشارةُ إلى أنَّ حضورَ العبادِ في حُكمِ الحاصِلِ الآنَ

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ لفظِ (لَدَى) دونَ (عِندَ)، فلَمْ يَقُلْ: (وإن كلٌّ لّما جميعٌ عندَنا مُحضَرونَ)؛ لأنَّ (لدى) لا تُستعمَلُ إلّا للحاضِرِ القريبِ، وأمّا (عندَ) فتُستعمَلُ لِما يكونُ عندَ الشّيءِ سواءٌ أكانَ قريبًا أم بعيدًا، فيُقالُ: عِنْدي مالٌ، وإن كانَ غائبًا، فَلا تَقولُ: لديَّ مالٌ، إلّا إذا كانَ حاضرًا[2]، فأفادَ استعمالُ (لَدَى) الإشارةَ إلى أنَّ اجتماعَ العبادِ يومَ القيامةِ بحُكمِ الحاصِلِ في هذا الوقتِ.

غرضُ تقديمِ الظّرفِ ﴿لَّدَيْنَا﴾:

الاهتمامُ بهَولِ المَحْشَرِ بالتَّصريحِ بمَن يكونُ لديهِ المَحشرُ

أفادَ تقديمُ الظّرفِ ﴿لَّدَيْنَا﴾ على عاملِه ﴿مُحْضَرُونَ﴾[3] الاهتمامَ والعنايةَ بالمُقدَّم، وذلك للتّنبيهِ إلى هَولِ المَحْشَرِ وعَظَمَةِ مَنْ يُحشَرُ لدَيهِ، كما أفادَ التَّقديمُ التّخصيصَ، والمعنى: (لدَينا وليسَ لدى

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 14، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 63، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 11.

(2) ابن هشام، مُغني اللَّبيب، ص: 209.

(3) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 9/ 265، وابن عادل، اللُّباب: 16/ 208.

غيرِنا يكونُ حشرُ النّاسِ كلِّهم مُجتمِعينَ مُحضَرينَ)، وذهَبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ ﴿لَّدَيْنَا﴾ ظَرفٌ لـ﴿جَمِيعٌ﴾[1]، والمعنى: مُجتمِعونَ لدَينا، ففيهِ تخويفٌ وترهيبٌ كذلك.

نكتةُ الإضافةِ في ﴿لَّدَيْنَا﴾ إلى نونِ العَظَمَةِ:

هـولُ الموقفِ في قلوبِ المشركينَ عـظـيـمُـهُ في صُدورِ المؤمنينَ

أُضيفَ الظَّرف ﴿لَّدَيْنَا﴾ إلى نونِ العظَمةِ للإشعارِ بأنَّهُ لا يَقدِرُ على جمعِ العبادِ كلِّهم مُجتمِعينَ مُحضَرينَ إلّا الإلهُ المَلِكُ الواحدُ الأحدُ، وبأنَّ هذا الجَمعَ مِن مُقتضَى عَظَمَةِ اللّهِ ﷻ، وفي اللَّفظِ تخويفٌ للعبادِ من ذلكَ الموقفِ المَهيبِ، فهو لدَى اللّهِ تعالى، فمَعَ شديدِ هولِهِ في قلوبِ المُشركينَ، إلّا أنَّه عظيمٌ في صُدورِ المُؤمنينَ.

نكتةُ التّعبيرِ بالمبنيِّ للمفعولِ ﴿مُحْضَرُونَ﴾:

جاء التَّعبيرُ بصيغةِ المَبنيِّ للمَفعولِ في قولِه تعالى: ﴿مُحْضَرُونَ﴾؛ لأنَّه ليسَ المقصودُ في السّياقِ بيانُ الفاعلِ بقَدرِ ما هوَ المَقصودُ بيانُ حُضورِ العبادِ واجتماعِهم لدى اللّهِ تعالى، وتَصويرُ حالةِ حُضورِهم يومَ القيامةِ.

بلاغةُ استعمالِ ﴿مُحْضَرُونَ﴾:

المُهلَكُ لا يُترَكُ هـمَـلًا؛ وإنَّـمـا يُؤخَّرُ إلى أجَلٍ

لفظُ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ إمّا أن يكونَ خبرًا ثانيًا للمُبتدأ ﴿كُلٌّ﴾، كما يَحتَمِلُ أن يكونَ نعتًا للفظِ ﴿جَمِيعٌ﴾[2]، فيكونَ تقييدًا لمعنى الاجتماعِ، بمعنى أنَّ هذا الاجتماعَ على معنى الإحضارِ لدَينا، ليَدُلَّ على أنَّهم مُحضَرونَ للحسابِ والجزاءِ خيرًا كانَ أو شرًّا، وفي التّعبيرِ بلفظِ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ إشعارٌ بأنَّ المُهلَكَ بالعذابِ أو بأيِّ أمرٍ آخَرَ لا يُترَكُ.

(1) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 267.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 271، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 127، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 12.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»